المال والجاه من مبتدا امره الى ان مات سنة خمس وخمسين ومائتين
بعد ان بلغ اكثر من تسعين سنة وله اخبار ظريفه ونثر طايل ونظم ضعيف
فمن اخباره ونوادره قال اتيت منزل صديق لي وطرقت الباب فخرجت لي
جارية سندية فقلت قولي لسيدك الجاحظ بالباب فقالت اقول الجاحد
بالباب على لغتها فقلت قولي الحدقي فقالت اقول الحلقي فقلت لا تقولي شيا
ورجعت وقال ما اخجلني احد مثل امراتين رايت احداهما في العسكر وكانت طويلة
القامة وكنت على طعام فاردت ان امازحها فقلت انزلي تاكلي معنا فقالت
اصعد انت حتى ترى الدنيا واما الاخرى فانها اتتني وانا على باب داري فقالت
لي اليك حاجة واريد ان تمشي معي فقمت معها الى ان اتت بي الى صايغ يهودي
فقالت له مثل هذا وانصرفت فسالت الصايغ عن قولها فقال انها اتت الي
بفص وامرتني ان انقش لها صورة شيطان فقلت لها ما رايت الشيطان
فاتت بك وكان الجاحظ شنيع المنظر الا ان بيانه كان يجلي عنه وقال وقفت
مرة على قاص فاردت الولوج به فقلت لمن حوله انه رجل صالح لا يحب الشهرة
فتفرقوا عنه فنظر الي فقال حسبك الله وقال قلت يوما للعبيد الكلابي ايسرك
ان تكون هجينا ولك الف دينار قال لا احب اللوم بشي قلت فان امير المومنين
ابن امة فقال اخزى الله من اطاعه قلت انبيا الله محمد واسماعيل كانا ابني امة
قال لا يقول هذا الا قدري قلت وما القدري قال لا ادري الا انك رجل سو
وقال اتاني بعض الثقلا فقال سمعت ان لك الف جواب مسكت فعلمني منها
لا يتعلم فان الجواب على قدر الكلام فقال على كل حال فقلت نعم فقال اذا قال لي
شخص يا زوج القحبة يا ثقيل الروح ايش اقول له قلت له صدقت واشترى
الجاحظ حصانا اسود فقيل له في ذلك فقال اخذته اسود لئلا يتهمني حصانا
لئلا اتهم به واجتمع في البصرة بالجماز فقال له الجماز كم نارا في اللحية فقال نار الرحم
ونار السعر ونار الحباحب ونار المعدة ونار المعرفة فقال تركت ابلغ النار
قال وما هي قال نار حرامك التي كلما انطفت فيها فوح سالهم حزنتها فقال الجاحظ
اما نار امي فقد اوقدتها لغاخرنا بنا الشان في حرامك التي يقال لها اهلا اهلا

وتقول

وقال دخلت يوما ديوان المكاتبات ببغداد فرايت قوما قد ... وسمعوا عليهم ... طرفهم ثم اخبرتهم ... في ما الزبد ... تصيفه ... ايديهم ... بما يكسبون

وقال انشدت ابا العيناء شعر ... فقال ... قلت ... ما تفارق الجراد والحرف حيث كنت

تقول هل من مزيد وسأله شخص كتابا الى بعض اصحابه بالوصية له
فكتب له رقعة وختمها فلما خرج الرجل من عنده فضها فاذا فيها كتابي معي من
لا اعرف ولا اوجب حقه فان قضيت حاجته لم احمدك وان رددته لم اذمك فرجع
اليه الرجل فقال الجاحظ كانك فضضت الورقة قال نعم فقال لا يضرك ما
فيها فانه علامة لي اذا اردت ان اشكر شخصا واعتل الجاحظ اخر عمره
علة طويلة فكان سببها انه حضر مايدة ابن ابي دواد وفي الطعام سمك ولبن
وكان ابن بختيشوع الطبيب حاضرا فنهاه عن الجمع بينهما فقال الجاحظ ان كان
السمك يضاد اللبن فاذا اكلتهما دفع كل منهما ضرر صاحبه وان كانا
متساويين فكاني اكلت شيا واحدا فقال ابن بختيشوع انا لا احسن الكلام
ولكن ان شيت ان تجرب فكل فاكل فاصابه فالج عظيم ونقرس حتى دخل اليه
بعض اصحابه فقال له كيف حالك فقال كيف حال من اصطلحت عليه العلل لو
خرج شقي الايسر ما حسست به من الفالج ولو مرت على شقي الايمن ذبابة
اوجعتني واشد ما اشكو السبعين وحكى بعض ابنا البرامكة قال
تقلدت السند وحصل لي ما شا الله ثم صرفت عنها وكنت قد كسبت بها
ثلاثين الف دينار فصنعت بها عشرة الاف هليلجة وجا الصارف فركبت البحر
وانحدرت الى البصرة فخبرت ان الجاحظ بها وانه عليل بالفالج واحببت ان
اراه قبل وفاته فصرت اليه وقرعت الباب فخرجت لي خادمة صفرا
فقلت رجل غريب احب ان انظر الى الشيخ فبلغته فسمعته يقول هذا رجل
ورد البصرة وسمع بي ويريد ان يقول رايت الجاحظ فاذنت لي فدخلت فسلمت
ورحب واجمله فقال من تكون اعزك الله فانتسبت له فقال رحم الله اسلافك
وابايك السمحا فلقد كانت ايامهم بهم من الزمن ولقد رايتم الخلق خيرا كثيرا
فسقيا لهم ورعيا فدعوت له وقلت انشدني شيا فقال

لئن قدمت قبلي رجال فطالما . مشيت على رسلي فكنت المقدما .
ولكن هذا الدهر تاتي صروفه . فتبرم منقوضا وتنقض مبرما .

ثم انصرفت فلما قربت من الباب قال يا فتى ارايت مفلوجا ينفعه الاهليلج قلت

لا

قال صرت الى الجاحظ ومعي جماعة ... واعتل في اخر عمره وعنده ابن خاقان جاره فقرعنا الباب فلم يفتح لنا
واشرف من المنظرة ... الا اني ... وحملت رميح الى سعيد ... تصنعون لي ... سلام المودع
... فاستعان بالعصا ... اخذ رميح الى سعيد ... العرب ... كناية

قوله لا تقولي شيا ... شخص ... العلامة

قوله ما تصنع بشق ... بالجارية ... النظر اليه فقال

Copyright © King Saud University